بتلك اللذات العلى وإذن فسواء لديه أقبلت الدنيا عليه أم أدبرت كدرت أم صفت ولن يشعر لفراق حبيب بأسى أو ألم لأنه لا يفعل إلا ما يريد الله ولا يختار إلا ما يقرب إليه ولا يختان الله ونفسه فيميل مع السهوات وخدع الدنيا ومفاتنها (١) .

ومبنى هذا الرأي كما نرى يرجع إلى عقيدته الدينية وهي الإسلام واعتقاده بحياة أخرى تنال النفس فيها جزاءها خيراً أو شراً .

ويعضد ذلك تقريره أن السعادة الحقة لا تكون بل لا تكمل إلا في الحياة الأخرة فهو يؤمر بهذه الحياة وببقاء النفس فيها لتلقى جزاءها خيراً أو شراً فتسعد أو تشقى سعادة خالدة أم شقاء خالداً ، جاء ذلك في كتابه الفوز الأصغر فقد عقد الفصل العاشر منه بتمامه من المسألة الثانية وفيه تحدث عن بقاء النفس وحالها بعد الموت من الجزاء والسعادة والشقاء ، كما تحدث في كتابه تهذيب الأخلاق عن ذلك أيضاً وخاصة في موضوع الخوف من الموت وأشار إلى ذلك كله بجلاء في كتابه (السعادة) وهذه بعض الشواهد المعضدة لذلك .

يقول في كتابه (تهذيب الأخلاق) : إذا بلغ الإنسان إلى غاية هذه السعادة ثم فارق بجسمه الكثيف دنياه الدنيئة وتجرد بنفسه اللطيفة التي عني بتطهيرها وغسلها من الأدناس الطبيعية لأخراه العملية فقد فاز وأعد ذاته للقاء خالقه (ﷻ) إعداداً روحانياً ليس فيه نزاع إلى تلك القوى التي كانت تعوقه عن سعادته والشوق إليها – لأنه قد تطهر منها – وتنزه عنها ولم يبق فيه إرادة لها ولا حرص عليها وقد استخلصها للقاء رب العالمين ولقبول كراماته وفيض نوره الذي كان غير مستعد له ولا فيه قبول من عطائه ويأتيه حينئذ الذي وعد به المتقون والأبرار كما سبق إليه الإيماء مراراً ، فيقول النبي (ﷺ) : هناك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (٢) .

وفي كتابه الفوز الأصغر نجده يحدثنا عن النفس بعد الموت فيقول : النفس يحصل لها مقارنة البدن صورة تلذ فيها بحسب ما اقتنته وكسبته بهذه الأشياء على هيئة تصورها إما سعيدة وإما شقية (٣) .

---

(١) الفوز الأصغر ص٦٨ ، والتهذيب ص٣٢ ، ٣٣ ، ٧٠ – ٧١ .
(٢) تهذيب الأخلاق ص١٨٦ .
(٣) المرجع المذكور ص٨١ .

وفي نهاية حديثه عن الخوف من الموت يقول : بينا مراتب السعادة ومنازل الأبرار ودرجاتهم من رضوان الله – تعالى – وجنته التي هي دار القرار ، كما بينا كذلك أضدادها من سخطه ودركاتهم من النار التي هي الهاوية بلا قرار نسأل الله حسن المعونة على ما يقربنا إليه ويبعدنا من سخطه إنه جواد كريم (١) .

---

(١) تهذيب الأخلاق ص١٨٦ ، ١٨٧ .

المبحث السادس

القيم التربوية لدى مسكوية

المبحث السادس

القيم التربوية لدى (مسكويه)

لقد انفعل (مسكويه) بمشكلات زمانه وعصره كما سلف أن ألمحنا إليه في هذه الدراسة وخاصة ما يتعلق بالمشكلات السياسية والاجتماعية والأدبية والسلوكية وغيرها من سائر العقبات التي تواجه أي مجتمع من المجتمعات ومن ثم كانت عنايته بالقيم التربوية كنهها وأهدافها ، فهي من تمام المنهج الأخلاقي لديه ولا كمال له بدونها ، وأي فيلسوف من الفلاسفة لا يستطيع أن يفصل بين الأخلاق والتربية ، ومسكويه عني بالتربية باعتبارها المعبر الأساسي عن فلسفته بصفة عامة ولاسيما الأخلاقية والتربوية – مجال هذه الدراسة – سواء فيما يتعلق بالتربية والتعليم وآدابها ، وأهدافها ، وفي سياسة الناس أفراداً وجماعات في سبيل بناء إنسان قويم ، ومجتمع صحيح إزاء ما واجهه من اضطرابات عاصرها ولمس آثارها وأضرارها في بيئته ومجتمعه .

وفكر مسكويه وفلسفته تحوي العديد من القيم والجوانب التربوية في فضل العقل وذم الهوى ، وفيه يعرض لطبيعة الإنسان ، وفي أدب العلم والتعليم والتعلم العديد من الأفكار التربوية بل يمكن اعتباره كله في التربية والتعليم في فلسفته ما يتعلق بأدب العالم مع المتعلم أو العكس ، وموانع التعلم والتعليم ، وفي أدب الدين فيه أفكار تربوية تعتبر أصول أساسية في الميدان التربوي ، وفي أدب الدنيا يعرض أصولاً اجتماعية وأخلاقية – سلف بيان بعضها – وفي أدب النفس في فلسفته جوانب تربوية وقيم تهذيبية جديرة بالاعتبار وأصيلة تعتمد في بيانها على الكتاب والسنة النبوية وإن تأثر بالفلسفات الوضعية الأخرى .

ولما كانت التربية نظام ينبع م صميم المجتمع ، ومن فلسفة أي أمة من الأمم ، فإنني سأعرض لبعض هذه القيم التربوية التي تتجلى في فلسفة مسكويه وأنها تشمل طبيعة الإنسان ككل دون انفصال بين أجزاء هيكله العام من حيث هو نفس وعقل وجسد وقلب ، وأنها تعد الإنسان للعمل النافع في الدنيا والآخرة ، وأنها تعد الإنسان ليفيد نفسه ومجتمعه وليقوم بأدواره المختلفة ، وأنها تهتم بالإنسان خلقياً – جسدياً– وخُلقياً واجتماعياً ونفسياً ومهنياً ودينياً ، وأنها تمتد لتشمل مراحل عمر الإنسان وإن عني عناية بالغة بتنشئة الأحداث وتربيتهم ليصيروا وغيرهم سعداء ، وبالجملة فإن التربية لدى مسكويه تعني بالإنسان

لتحمل تبعات التكليف وهو شامل متكامل يضم جميع مناحي الحياة وتراعى فطرة الإنسان وطبيعته الفردية والاجتماعية .

ومنهجه في فلسفته التربوية يرتكز على ركيزتين :

الأولى : قبول الأخلاق للتغيير .

والثانية : التعرف على نفس الطفل وطبيعتها .

وفيما يتعلق بالدعامة الأولى فقد سلف بيانها لدى بيان القيم الأخلاقية في فلسفته .

ولما فيما يتعلق بالدعامة الثانية وهي التعرف على طبيعة الحدث ونفسيته فيرجع في أول أمره عند فيلسوفنا مسكويه إلى أن نفس الطفل ساذجة لم تنقش بصورة بعد ، وتشكيل هذه الصورة إنما هو من عمل المربين ، فهو يقرر : أن طبيعة الطفل صفحة بيضاء ، وأن الطفل يولد مشحوناً بغرائز وصفات متباينة ، ووظيفة المربي إنما هي الاستعلاء بهذه الغرائز والسمو بتلك الصفات التي لا يمكن انفصالها وإلا جاءت تربيته على غير المراد .

ويرى أن القوى النفسية في الإنسان تظهر على هذا الترتيب :

أولاً : قوى الشوق إلى الغذاء .

ثانياً : قوة الغضب وهي تظهر في الدماغ عما يؤذيه وتظهر في استغاثته وصياحه .

ثالثاً : قوة التمييز بين الأفعال الإنسانية أولاً فأول حتى يصير إلى الكمال (العقل والتمييز) (١) .

كما يرى أن شارة البدء في التمييز تكون بظهور صفة الحياء عليه فهذا دليل على نجابته وإحساسه بالجميل والقبيح وهو حينئذ مستعد لقبول التأديب وصالح لتلقى الأخلاق الحميدة والسوية (٢) .

---

(١) انظر (تهذيب الأخلاق) ص٥٨- ٦٧ ، لمزيد من الاستفادة .

(٢) (مناهج البحث الخلقي في الفكر الإسلامي) د. أحمد الشاعر ص٢٥٨ - ٢٥٩ بتصرف يسير .

وباستقراء فكر وفلسفة مسكويه في إبراز القيم الأخلاقية وأهدافها فإننا يمكننا إجلاؤها فيما يلي :

أولاً : إعداد الإنسان وتنميته لقبول التكليف ، وهذا الهدف يأتي في المرتبة الأولى لديه ، فالإنسان باعتباره هدف التكليف يجب أن يعد إعداداً قوياً ليصل إلى الأهلية التكليفية ، فهو يقرر : أن الله تعالى إنما كلف الخلق لنفعهم وأقدرهم ، أي خلقهم قادرين على فعل ما كلفهم ورفع الحرج عنهم فيما تعبدهم ليكونوا أقدر على النهوض بفعل أوامر التكليف ومجانبة المعاصي .

ثانياً : تربية العقل وأهميته ، وأهمية العلم ، ومن ثم يوجب ضرورة التعلم ، فالعلم باعث على فعل العبادة وقبول التكليف ، فالعلم لازم للإنسان وضروري له ، وتربية العقل مهمة من أجل هذا ، ومع إقراره لأهمية تربية العقل فإنه لا يهمل الدين بل يهتم به اهتمامه بالعقل ويكامل بينهما ، فالعقل يمنع الناس أن يكونوا هملا أو سدى يعتمدون على آرائهم المختلفة .وينقادون لأهوائهم المتشعبة ، والعقل إما موجب للدين أو تابع له ، وتربية العقل مع أهميتها لا تستغني عن الدين والدين لا يستغني عن العقل ، والعقل أصل الدنيا وعماد الدين وبكماله أوجب الله تعالى التكليف .

ثالثاً : تربية النفس وتهذيبها (التربية الأخلاقية) :

فهو يرى أن النفس لابد من تربيتها وتهذيبها إذ أن هذه التربية تقي النفس مساوئها وينجو الإنسان من غيها وهي تشمل الإنسان طفلاً وحدثاً ومراهقاً وإذا عود الطفل على الأخلاق نما وهي سجية من سجاياه ، ومن اهتمام مسكويه بتربية النفس أنه جعلها أحد أهدافه الأخلاقية والتربوية في فلسفته ، وهدف تربية النفس أن تكون نفس الإنسان مطيعه له ، لأنها إذا أطاعته ملكها وإذا عصته ملكته ولم يملكها ومن لم يملك نفسه فهو بان لا يملك غيرها أحرى ومن عصته نفسه كان بمعصية غيرها أولى ، وتربية النفس تأتي عن طريق النصح والانقياد أما النصح فهو بالنظر إلى حقائق الأمور فيرى الإنسان الرشد رشداً ويستحسنه ويرى الغي غياً ويستقبحه ، فهو إن تسرع إلى الرشد إذا أمرها وتنتهي عند الغي إذا زجرها وهذا يكون من قبول النفس إذا كفيت منازعة الشهوات .

وقد أورد مسكويه آداباً ومكارم للأخلاق هي تمام طاعة النفس وكمال مصلحتها ، وأوضح كيف يربي الإنسان نفسه على هذه المكارم والآداب وفوائدها في حياة الإنسان (فرداً ومجتمعاً) .

رابعاً : صلاح أمر الإنسان في الدنيا والآخرة :

إن غاية تكليف الإنسان لدى مسكويه صلاح أمر الإنسان في الدنيا والآخرة أو ما يعتبر عنه نفع الدنيا والآخرة ، وهذا باب واسع يشمل سائر الأهداف السالفة الذكر وإن انفردت كما يحتوي على أهداف أخرى .

وصلاح أمر الإنسان في الدنيا يعني الاستقامة وما تتضمنه ليستقيم حال الإنسان في الآخرة ، وهذا يقتضي ضرورة التوازن بين الدنيا والآخرة ، والدنيا والدين والعقل والوحي ، ويستلزم هذا تحقيق صلاح الإنسان فردياً وتربيته للأخذ من الدنيا بنصيب ، كما يتضمن تربيته اجتماعياً للعيش مع غيره في وئام وسلام وكلاهما متكاملان ولا ينفصل أحدهما عن الآخر ذلك لأن التربية تنظيم اجتماعي نشأ وتطور في كل مجتمع كمحصلة لما بذله أفراد هذا المجتمع من جهود في سبيل توجيه حياة أفراده ومساعدتهم لمواجهة متطلبات الحياة ومقتضياتها في ضوء ما اختاره هؤلاء الأفراد من قيم وأنظمة ومعارف ، ومن ثم تتأثر التربية بأحكام الكبار وطرق اختيارهم ، وهذه الطرق وتلك الأحكام تتأثر بدورها بظروف الزمان والمكان من تاريخ ونظام حكم ومعرفة وعلم وتقاليد وأدوات ، وشخصية الإنسان لا يمكن لها أن تنمو نمواً حقيقياً إلا عن طريق تفاعلها الإيجابي وارتباطها الفعال بالآخرين إذ من المستحيل أن ينمو الإنسان نمواً طبيعياً وهو في عزلة ، والمعين للإنسان على استيفاء حاجاته ودفع عجزه الاجتماع بالغير ، والفرد لا يمكنه أن ينفصل عن الوسط الاجتماعي والبيئي الذي يوجد فيه ، والفرد في حاجة دائمة إلى غيره وفق الأصول والقواعد التي يتم بها انتظام الحياة في المجتمع ، ولعل من أهمها : الدين ، والسلطة السياسية ، والعدل الشامل ، والأمن العام ، والخصب والرخاء الاقتصادي ، والأمل الذي يساعد الإنسان على الإبداع والتراكم الحضاري المادي والفكري ويساعده أيضاً على الاستمرار والتواصل الحضاري .

أنواع التربية لدى (مسكويه) :

باستقراء الفلسفة الخلقية والتربوية لدى مسكويه نستطيع أن نصنف التربية في نتاج فكره إلى : تربية نفسية ، وتربية اجتماعية ، وثالثة صحية ، ويمكننا إجلاء معالم منهجه في كل منها على النحو التالي :

أما التربية النفسية : فذلك بالتعرف على نفس الطفل وما فيها من استعدادات طيبة ومظهرها الحياء ، وإبعاده عن قرناء السوء ومخالطة الأشرار وتربيته على حب الكرامة والشرف ولاسيما ما يحصل بالدين دون المال وأخذه بآداب الشريعة ، ومدح الأخيار للسير على نهجهم وإيثاره غيره عليه وحفظ محاسن الأخبار والأشعار وإبعاده عن المستهجن منها وأن يمدح على ما يظهر منه من السلوك الحميد .

وأما التربية الصحية : فذلك بأن يعلم الغذاء إنما هو لحفظ الصحة العامة للكيان الإنساني وأن يعلم أن الشره مهلك للإنسان وألا يأكل على شبع وإنما بعد تعب ومجهود وأن يعتاد الرياضة والحركة لتنبعث الحرارة في جسمه فينشط ولا يكسل .

وأما التربية الاجتماعية : وأن يعلم الصدق والأمانة وأن يعلم الطاعة وحسن الانقياد وأن يعتاد اللعب مع غيره ، وهذه هي أهم المبادئ التربوية للإنسان عموماً ولاسيما تنشئته الأحداث ورياضتهم فهو يرى أن الشريعة الإسلامية قد اهتمت اهتماماً بالغاً بالإنسان ولاسيما الأطفال فيقول : الشريعة هي التي تقوم الأحداث وتعودهم الأفعال المرضية وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ إلى السعادة الإنسانية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم وعلى الوالدين أخذهم بها وبسائر الآداب الجميلة وبضروب السياسات من الضرب إذا دعت إليه الحاجة (١) .

تأمل وصيته والعهد الذي عاهد به نفسه فقد جمعت دستوره الأخلاقي وفلسفته التربوية وجمعت بين النظرية والتطبيق حيث نتجت عن خبرته العلمية وسلوكه في الحياة فسبقت الإشارة إليه في هذه الدراسة ، ومن هذا العهد الذي

---

(١) تهذيب الأخلاق ص٢٩ .

قطعه على نفسه نلمح طابع مذهبه في الأخلاق وسماته والذي أراد به السعادة لنفسه ولمن يسعده جده بالأخذ به يقول د. أحمد أمين :

إن هذا العهد أو هذه الوصية التي أوصى بها من يأتي بعده تعد من خير الوصايا لأنها تدل على أنه كان حي الضمير ، يحاسب نفسه ويتمنى الخير والتهذيب لمن يأتي بعده ، وجرى فيها على وصية قس بن ساعدة ولقمان الحكيم وغير ذلك مما أثر عن الحكماء (١) .

كما راعى مسكويه في مذهبه التربوي أن يكون برنامجه الذي وضعه للإصلاح شاملاً للصغار والكبار والخاصة والعامة ، وحاول في نتاجه الفكري والفلسفي والتربوي خاصة أن ينقذ الناس مما هم فيه من انهيار في القيم وفساد في الأخلاق .

وفي كتابه تهذيب الأخلاق – مثلاً – أشار إلى أهمية الشريعة وأصول الدين في تربية الإنسان وخاصة في أوائل عمره وحث الآباء على أن يأخذوا أبناءهم بأساليب ذلك حتى تقوى نفوسهم على حب الخير وتمهد إلى حياة الفضيلة فالدين وتعاليمه في نظر مسكويه خطوة سامية لازمة للقيم الأخلاقية والتربوية للإنسان عامة وخصوصاً لمرحلة الطفولة والحداثة لأنه في هذا العهد لا يناقش ولا يجادل وإنما يسمع ويطيع .

ويذكر أن من يربى على آداب الشريعة في صباه ثم ينظر بعد ذلك في كتاب الأخلاق ويتدرج في معرفة العلوم وتحصيلها كما رسمناه في كتابنا الموسوعة بترتيب السعادات ومنازل العلوم حتى يبلغ إلى أقصى مرتبة الإنسان فهو السعيد الكامل (٢).

ويرى أن الشريعة هي سياسة الله وسنته العادلة التي بها مصالح العباد في الدنيا والآخرة(٣) .

كما يقرر أن الشريعة هي التي ترسم للإنسان في معاملاته التوسط والاعتدال (٤)

---

(١) ظهر الإسلام جـ٢ ص١٧٩.
(٢) تهذيب الأخلاق ص٤٩ .
(٣) المرجع السابق ص١٠٧ .
(٤) المرجع المذكور ص١١٥ .

ويقرر أن الشريعة تأمر بجميع الفضائل وتنهى عن جميع الرذائل ولذلك فإن المتمسك بالشريعة يكتسب الخير والسعادة من وجود العدالات (١) وهي ناموس الله (ﷻ) وناموس الله أكمل النواميس لذلك وجب أن يخضع له الحاكم في تشريعه والدينار في قيمته والناس أجمعون (٢) .

ولعل تشدده في أسلوب تربيته للأحداث يرجع لعدة عوامل :

أولاً : تجربته الخاصة التي عاشها إبان شبابه ثم مشاهداته للآخرين الذين أسرفوا في الترف والتنعيم الذي يقتل في الإنسان روح الرجولة والشرف وينأى به عن الفضيلة والكرامة الإنسانية كل ذلك دفع مسكويه إلى الصرامة والقسوة وسادت روح الجفاف في طفولته مما لا يتناسب وطبيعة هذه المرحلة .

ثانياً : أن الفلاسفة القدماء وقفوا عند حد معرفة نفس الطفل من أنها ساذجة وخالية من كل نقش وصورة ومن ثم يكون عبء التربية على المربين والبيئة والوالدين وهذا جميل ولكنه لا يمكن لنا بحال أن نغفل عن الغرائز والصفات الموروثة في الحدث حتى نستطيع أن نسمو بها وترقيها إلى الغاية المنشودة وهذا ا عليه رجال التربية في العصر الحديث .

ثالثاً : مدى التأثر الكبير الذي تأثر به مسكويه بالفلاسفة الوضعيين وخاصة برسن في تأديب الأحداث والصبيان .

رابعاً : إغفال شخصية المربي مع مالها من أثر كبير في تربية الأحداث لأنه قدوتهم ومثلهم الأعلى فمن الواجب العناية بشخصية المربي ألا فذلك أجدى نفعاً وأبلغ أثراً في التربية السليمة وإلا كان الخطر الجسيم الذي يحرف بالأحداث إلى مهاوي الرذيلة والانحراف إذا كان المربي في حاجة إلى تربية (٣) .

وأما فيما يتعلق بعناية مسكويه في فلسفته الأخلاقية والتربوية بالصحة النفسية فنجده يعني عناية بالغة بأمرين :

---

(١) المرجع السابق ص١١٧ .
(٢) المرجع السابق ص١١٥ ، ١١٦ .
(٣) مناهج البحث الخلقي في الفكر الإسلامي ص٢٦١ ، ٢٦٢ بتصرف يسير

الأول : تأثير الأمراض الجسيمة في الصحة النفسية للإنسان وبالعكس فيقول : (إنا كما نرى المريض من جهة بدنه لاسيما إن كان سبب أمراضه الجزأين الشريفين أعني : الدماغ والقلب يتغير عقله ويمرض حتى ينكر ذهنه وفكره وتخيله وسائر قوى نفسه الشريفة ويحس هو من نفسه بذلك .

وكذلك أيضاً نرى المريض من جهة نفسه إما بالغضب وإما بالحزن وإما بالعشق وإما بالشهوات الهائجة به ، تتغير صورة بدنه حتى يضطرب ويرتعد ويصفر ويحمر ويسمن ويلحقها ضروب التغير المشاهدة بالحس) (١) .

كما نجده يقرر أنه يجب على الطبيب أن يبحث عن سبب المرض ويتعرف على علته فربما كان نفسياً أو جسمياً وحينئذ أن يصف العلاج الناجح لهذا المرض .

والثاني : أن الطب النفسي كالطب البدني ينقسم إلى قسمين :

الأول : طب وقائي الغرض منه المحافظة على النفس ووقايتها من سائر الأمراض التي تفتك بها .

الثاني : طب علاجي والغرض منه إنقاذ النفس من الأوبئة وردها إلى حالتها الطبيعية .

وفي هذا الصدد يؤكد فيقول : لما كان طب الأبدان ينقسم بالقسمة الأولى إلى قسمين أحدهما : حفظ الصحة إذا كانت حاضرة ، والآخر : ردها إذا كانت غائبة ، وجب أن نقسم طب النفوس بعينها فنردها إذا كانت غائبة ونتقدم في حفظ صحتها إذا كانت حاضرة (٢) .

والقسم الأول الوقائي يمكن أن يسمى بتهذيب الأخلاق .

والقسم الثاني العلاجي يمكن أن يسمى بتطهير الأعراق ، ويجمع هذين القسمين عنوان كتابه الأخلاقي (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) .

---

(١) تهذيب الأخلاق ص٥٨ .
(٢) المرجع السابق ص٤٠ .

وقد عني في هذا الكتاب بهذين القسمين في ست مقالات :

تحدث في المقالة الأولى : عن مبادئ الأخلاق : النفس وقواها والخير والسعادة والفضائل والرذائل .

وفي المقالة الثانية : تحدث عن الخلق وتهذيبه وعن الكمال الإنساني وسبيله .

وفي المقالة الثالثة : تحدث عن الخير وأقسامه وعن السعادة ومراتبها .

وفي المقالة الرابعة : تحدث عن العدالة .

وفي المقالة الخامسة : تحدث عن المحبة والصداقة .

وفي المقالة السادسة : والأخيرة فقد عالج فيها صحة النفس : حفظها وردها .

وهذه المقالة قد عنيت بالقسمين (الوقائي والعلاجي) لصحة النفس فمسكويه ينظر إلى الإنسان وإلى قواه حسب ظهورها فيه ثم يبدأ بتقويمها أولاً فيقول : يجب أن نبدأ بالشوق الذي يحصل فينا إلى الغضب فنقومه ثم بآخرها الشوق الذي يحصل فينا إلى المعارف والعلوم فنقومه (١) .

ثم نجده يحدد أموراً هامة يجب مراعاتها لصحة النفس وحفظها وهي تهدف إلى تهذيب الغايات وتنمية الملكات .

وهذه الأمور يمكننا بيانها على النحو التالي :

أولاً : معاشرة الأخيار واجتناب مخالطة الأشرار .

ثانياً : ضرورة التشبه بالملوك الموصوفين بالحزم في استعدادهم بالقوة والعتاد قبل هجوم العدو عليهم ، ومن ثم يجب أن يضبط الإنسان نفسه عن الشهوة ولا ينتظر دفع الرذائل وقت هيجانها .

ثالثاً : ضرورة رعاية الطب الوقائي والعلاجي (النظري والعملي) في الإنسان لأن النفس متى تعطلت من النظر وعدمت الفكر والغوص على المعارف تبلدت وانقطعت عنها مادة كل خير وقربت من رتبة البهائم فيكون الانتكاس بالخلق .

---

(١) تهذيب الأخلاق ص١٧٥ – ١٧٦ .

رابعاً : لطف النظر في كل ما يعمل ويريد فينزع الإنسان إلى الخير دائماً ولا يقع تحت ضغط عادة تخالف تمييزه ورويته ، فإن عرض له ذلك وجب أن يضع لنفسه عقوبات يقابل بها هذه الجرائم التي يرتكبها حتى تتطبع نفسه على الخير ولا يعود لمفارقة الذنوب .

خامساً : معرفة عيوب النفس ، وأن ينتفع الإنسان بأعدائه في التعرف على عيوبه إذ العدو في هذا أنفع من الصديق ، وتأثراً بالكندي نجده يضيف : وأن ينتفع طالب الفضيلة بصور جميع معارفه من الناس ويعتبرها مرآة له يرى على ضوئها عيوبه ومحاسنه .

والغاية التي ينشدها مسكويه من إجلائه للطب النفسي الوقائي يهدف إلى تهذيب النفس وحفظ صحتها ووقايتها من الرذائل والشرور والوقاية كما يقولون : خير من العلاج ، بحيث تكون غاية الإنسان في هذه الحياة كماله الذي من أجله خلق وهذا الكمال لا يتحقق إلا بالسعادة القصوى فلا ينصرع تحت ضغط شهوة أو نزوة هائجة فينتكس ويهوى إلى درك البهائم ، ووسيلته للوصول إلى هذه البغية التحلي بالفضائل النفسية والعقلية كطريق إلى الغاية النبيلة ، ويتطلب ذلك أن يتعهد الإنسان تنمية دوافعه النفسية وتهذيبها عن طريق :

أولاً : تربية الضمير والإحساس بالمسئولية .

ثانياً : التقليد لكل ما هو خير ونبيل .

ثالثاً : الانتباه الدائم واليقظة المستمرة وذلك لمعرفة عيوب نفسه فيستفيد من أخطائه وأخطاء الآخرين وبذلك يكون مرهف الحس ، نبيل الأحاسيس والمشاعر ، جميل الغايات ، مهذب الملكات ، متماسك النفس على تناغم وانسجام .

وأما فيما يتعلق بالطب النفسي العلاجي فنجده يؤكد على أمرين :

الأول : التعرف على سبب الداء .

الثاني : وصف المناسب له من الأدواء .

ولذلك نجده يقرر ويعرض لبيان أجناس الشرور ويضع أيدينا على كافة الأمراض الخطيرة التي تصيب النفس الإنسانية ، ثم يصل إلى أسباب هذه العلل فيجد لها العلاج الناجح لها ، ولهذا عاد إلى نظريته في الوسط وبه تكون صحة

النفس وكمالها ، وأدنى انحراف عنه يقربنا إلى الرذيلة ويصيبنا بالأوبئة النفسية الخطيرة ، ولما كان الوسط واحداً وهو الفضيلة فإن ما عداه من الأوساط الأخرى يحدد الأمراض والرذائل وهي تتفاوت في خطرها قوة وضعفاً بمقدار بعدها عن الوسط .

وعلى ضوء هذا يرى مسكويه أن الأمراض النفسية الأصلية ترجع إلى ثمانية أمور لأنها أضعاف الفضائل النفسية الأربع وهي :

١- التهور والجبن طرفاً (الشجاعة) .

٢- الشره والجمود طرفا الوسط الذي هو (العفة) .

٣- السفه والبله طرفا الوسط الذي هو (الحكمة) .

٤- الجور والمهانة طرفا الوسط الذي هو (العدالة) .

وهذه هي أجناس الشرور التي تصيب الإنسان .

ونجده بعد عضه لهذه الأجناس يعرض بصفة خاصة لثلاثة من أخطر هذه الأمراض فيأخذها بالتحليل والتفصيل كنماذج تسير عليها في فحص غيرها من الأمراض وهي : (الغضب ، والخوف ، والحزن) (١) .

وهذه النماذج التي اختارها تظهر براعته في الخوض في أعماق النفس الإنسانية ليقف الإنسان على أسباب هذه الأمراض وليتمكن من تحديد العلاج والدواء المناسب لعلته .

وبعد

فهذه إلمامة موجزة غير مخلة بالمنهج العلمي حول أحد فلاسفة المسلمين في المجال الأخلاقي والتربوي داعياً المولى (ﷻ) أن يلهمنا الصواب ويجنبنا الزلل في الدراسات المستقبلية حول فيلسوف آخر ، إنه سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة قدير .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) مناهج البحث الخلقي في الإسلام ، د. أحمد الشاعر ص٢٦٢ – ٢٦٩ بتصرف .

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : السنة النبوية .

ثالثاً : الدراسات والكتب الآتية :

(أثر أفلاطون في فلسفة مسكويه) د. ناجي التكريتي ص١٦ مجلة المورد العدد٣ ، سنة ١٩٧٣م ، نقلاً من (فلسفة الأخلاق ..) د. فتحي الزغبي ص٧٥ ، ٧٦ .

(فلسفة الأخلاق عند مسكويه) د. فتحي أحمد الزغبي في مقدمة كتابة بتصرف ، ط٢ ١٩٩٨م .

(الأخلاق) لأرسطو ترجمة اسحاق بن حنين تحقيق د. عبد الرحمن بدوي .

(الأخلاق) د. عبد الرحمن ص٤ .

(تسهيل النظر وتعجيل الظفر) للماوردي .

(تاريخ علم الأخلاق) د. هـ سد جويك ترجمه وقدم له وعلق عليه د. توفيق الطويل وأخر جـ١ ص١٢ – ٢١ ط نشر دار الثقافة سنة ١٩٤٩م .

(أفلاطون) د. عبد الرحمن بدوي ص٢١٤ ، (تاريخ الأخلاق) د. يوسف موسى ص٧٧ : ٧٨ نقلاً من (فلسفة الأخلاق عند مسكويه) د. فتحي الزغبي جـ١ ص٧٧ : ٧٩ بتصرف يسير .

(فلسفة الأخلاق عند مسكويه) د. فتحي الزغبي بتصرف .

(الذريعة إلى مكارم الشريعة) لأبي القاسم الأصفهاني ص٧٥ – ٧٦ وقد تأثر الراغب بفلسفة مسكويه في مبحثه النفس ، انظر (فلسفة الأخلاق في الإسلام) د. محمد يوسف موسى ص١٣٥ .

مقدمة الفوز الأصغر ص١ نقلاً من فلسفة الأخلاق عند مسكويه د. فتحي الزغبي ص٢٣ .

(ملامح الفكر التربوي عند ابي حيان التوحيدي) د. حسان محمد حسان ص٢٣٧ كلية التربية بالمدينة المنوّرة العدد الأول ١٩٨٢ ، (أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث) د. فهمي جدعان ص٤٩ – ٥٠ المؤسسة العربية ط١ سنة ١٩٧٩ ، وابن مسكويه د. عزت ص٧١ – ٧٤ ، و(فلسفة الأخلاق) د. محمد يوسف موسى ٣١٠ – ٣١٢ .

(الفكر الأخلاقي العربي) د. ماجد فخري جـ١ ص٩ ، (فجر الإسلام) د. أحمد أمين ص١١٨ بتصرف .

(مفكرو الإسلام) كرادي فو ترجمة عاد زعيتر جـ١ ص١٥ .

(دراسات في علم الأخلاق) د. محمود مزروعة ص٣٠ بتصرف يسير .

(السعادة لمسكويه ص٣٧ وانظر (العقيدة والأخلاق) د. محمد بيصار ص ٢٨٢ – ٢٨٥ ، لمزيد من الاستفادة .

(العقيدة والشريعة) د. محمد بيصار ص٢٥ – ٢٦ بتصرف ، (دراسات في علم الأخلاق) د. محمود مزروعة ص١٢ – ١٤ بتصرف يسير .

(كتاب تدبير المنزل) ص٢٦ ، ٣٣ وراجع التفاصيل في تعليقات شيخو وعيسى اسكندر على كتاب تدبير المنزل ص١٤ ، ٣٣ – ٣٨ لمزيد من الاستفادة .

كتاب الأحياء جـ٣ ص٦١ طبعة دار المعرفة بيروت .

الفهرست لابن النديم ص٨٢ ، ومن المؤرخين أبو حيان ، والثعالبي والخوارزمي ، وابن أبي صبيعة والقفطي رجحوا هذا الرأي .

(فلسفة الأخلاق) د. توفيق الطويل ص٨٣ .

رسائل فلسفية ص١٤٤ – ١٤٥ ، وتهذيب الأخلاق ص٤٣ ، ٤٤ ودراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب و د. عبد الرحمن بدوي ص ٩٨ – ١٠٤ ، وابن مسكويه د. عزت عبد العزيز ص١٨٥ ، وفلسفة الأخلاق عند مسكويه د. فتحي الزغبي جـ١ ص١٩٢ – ١٩٦ لمزيد من الاستفادة .

(الأخلاق) د. أحمد أمين ١٣٧ دار الكتاب العربي بيروت .

(تاريخ الفلسفة الإسلامية) د. ماجد فخري ص١٣٤ ، وفلسفة الكندي ص ٢٧٧ – ٢٧٨ والفكر الأخلاقي العربي د. حسام الألوسي جـ٢ ص١٥ .

(مشكلات فلسفية) د. توفيق الطويل وآخرون ص١٧٤ .

(تاريخ الأخلاق) د. محمد يوسف موسى ص١٨٦ مطابع دار الكتاب العربي ط٣ سنة ١٩٥٣م .

(ضحى الإسلام) د. أحمد أمين جـ١ ص٢٠١ .

(أخبار العلماء بأخبار الحكماء) ص٢١٧ ، ومعجم الأدباء لياقوت جـ٥ ص٥ ، ونزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة للشهرزوري جـ٢ ص٧٩ ، وعيون الأنباء جـ٦ ص٢٤٦ وغيرها كثير .

(ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصادرها) د. عبد العزيز عزت ص٢١٧ ط١ مصطفى الحلبي سنة ١٩٤٦م .

(العقيدة والأخلاق) د. محمد بيصار ص٢٢٤ .

دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول ص٢٧٨ .

(فلسفة الكندي) د. حسام الألوسي ص٢٧٨ .

(معالم الفكر العربي في العصر الوسيط) ص٢٩١ ، نقلاً من المرجع السالف الذكر .

(معالم الفكر العربي في العصر الوسيط) كمال يزجي ص٢٩٢ .

(زعماء الإصلاح في العصر الحديث) د. أحمد أمين ص٢٩٣ .

(الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي) د. أحمد صبحي ص٣١٣ دار المعارف ١٩٦٩م .

راجع الحكمة الخالدة من ص٣٢٧ إلى آخر الكتاب .

(النثر الفني في القرن الرابع) د. زكي مبارك جـ٢ ص١٨١ – ١٨٢ نشر دار الجيل بيروت سنة ١٩٧٥ .

(تاريخ الفلسفة اليونانية) د. يوسف كرم ص١٨٩ – ١٩٠ ، (تاريخ الفكر الفلسفي) : ج٢ د. محمد علي ريان ص٢١٧ – ٢١٨ – ٢٢٢ ، (الأخلاق)

لأرسطو ترجمة د. عبد الرحمن بدوي ص٨٥ – ٨٦ ، (فلسفة الأخلاق عند مسكويه) د. فتحي الزغبي جـ١ ص٩٦ : ٩٨ لمزيد من الاستفادة .

(عبد الله ابن المقفع) للخراساني ص١٣٠ – ١٣١ ، ١٣٢ .

(مناهج البحث الخلقي في الفكر الإسلامي) د. أحمد الشاعر ص٢٢٠ ، ٢٢١ بتصرف يسير .

(تاريخ الفلسفة في الإسلام) ترجمة أبي ريدة ص٢٢٧ – ٢٢٨ النهضة المصرية والنثر الفني) د. زكي مبارك جـ٢ ص١٧٨ ، و(ابن مسكويه) د. عزت عبد العزيز ص١١٥ – ١٤٢ ، فقد نفى كافة التهم التي وجهها إليه التوحيدي .

(العقيدة والأخلاق وأثرهما على الفرد والمجتمع) ص٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(مواقف مع الغزالي) أبي بكر ذكري ص٣٥ – ٣٦ طبعة سنة ١٩٦٠م .

(ظهر الإسلام) د. احمد أمين جـ٢ دار الكتاب العربي ط٥ ١٩٦٩م .

موضوعات البحث

المبحث الأول
مسكوية بين مادحيه وقادحيه
تمهيد
مسكويه بين مادحيه وقادحيه
التعريف بمسكيه
مكانة مسكويه في علم الأخلاق
المبحث الثاني : مذهب مسكويه ومنهجه
المبحث الثالث : أسس المنهج الأخلاقي والتربوي
المبحث الرابع : منابع الفكر الفلسفي الأخلاقي والتربوي
أولاً : تأثر مسكويه بأفلاطون
ثانياً : تأثر مسكويه بأرسطو
ثالثاً : تأثر مسكويه بالآداب والتعاليم الفارسية
رابعاً : تأثر مسكويه بالشريعة الإسلامية
المبحث الخامس : القيم الأخلاقية في فلسفة مسكويه
المطلب الأول : الخلق في فلسفة مسكويه
المطلب الثاني : المقياس الخلقي في فلسفة مسكويه
المطلب الثالث : النفس الإنسانية في فلسفة مسكويه
المطلب الرابع : قوى النفس في فلسفة مسكويه
المطلب الخامس : مراتب قوى النفس في فلسفة مسكويه .
المطلب السادس : الفضيلة في فلسفة مسكويه
المطلب السابع : الخير في فلسفة مسكويه
المبحث السادس : القيم التربوية في فلسفة مسكويه
المصادر والمراجع